مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (1)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (1) 2017

الفكر العربي وآفاقه المستقبلية

الدكتور ابراهيم رزوق*
عقيل غسان حسن**

(تاريخ الإيداع 15 / 11 / 2016. قبل للنشر في 30 / 1 / 2017)

□ ملخّص □

يسلّط البحث الضوء على مشكلة ثقافية عدّها الباحثون المعاصرون إحدى أهم المشكلات التي ساهمت في تفكك البنيان الثقافي والمعرفي لمجتمعنا العربي في الوقت الذي كان الجهد منصباً حول تجديد الهوية الثقافية لهذا المجتمع من خلال العلاقة التي تربط التراث الثقافي القديم لمجتمعنا مع تراثنا الثقافي المعاصر.

حاول البحث رصد أهمية التراث الثقافي العربي بالنسبة للمفكرين العرب ، الذين رفعوا لواء النهضة العربية الإسلامية ؛ موضحين مواقفهم المتباينةمن التراث إذ ظهر هذا التباين بين تيارٍ سلفي دعا بقوة إلى التمسك بالتراث والاستفادة منه، وبين تيار معاصر دعا إلى التوجه نحو الفكر الأوروبي الحديث، وبين تيار ثالث دعا للأخذ بالجوانب الثقافية والمعرفية الصحيحة من التيارين السلفي والمعاصر، مع الإشارة إلى أهم العوامل التي ساهمت في فشل المشروع الثقافي النهضوي العربي.

الكلمات المفتاحية : التراث – الحداثة –السلفي –الليبرالي– الأيديولوجيا .

* أستاذ، قسم الفلسفة ، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة تشرين ، اللاذقيّة ، سورية .
** طالب دراسات عليا (ماجستير) ، قسم الفلسفة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سورية .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (1)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (1) 2017

The Arab thought and its prospects for the future

Dr. Ibrahim Razzouk*
AkeelGhassan Hassan**

(Received 15 / 11 / 2016. Accepted 30 / 1 / 2017)

□ ABSTRACT □

This research sheds light on a cultural problem, the contemporary researchers consider as one of the most important problems that contributed to the disintegration of cultural and cognitvevariation in our Arab society that revolves around identifying the cultural identity of this community through the relationship between the old cultural heritage of our society with the contemporary cultural heritage. For this reason, we tried very hard to observe the importance of Arab cultural heritage for the Arab intellectuals who raised the banner of the Islamic Arab Renaissance. They point out, in this context, divergent positions of these thinkers of the heritage among Salafi stream strongly advocates adherence to heritage and benefit from it, the contemporary stream calls to go about European modern thinking and go away from the heritage, and the third stream calls for taking cultural and cognitive aspects of the right of the Salafi and contemporary currents -that is, between tradition and modernity with reference to the most important factors that contributed to the failure of the Arab cultural renaissance project.

Keywords: Heritage - modernity - Salafi - a liberal - ideology

***Professor, Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Latakia , Syrian**
****postgraduate Study Student , Master's Degree , Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University**

مقدمة :

لعل الأزمات التي عصفت بمستقبل أمتنا العربية تتطلب منّا جميعاً يقظة متواصلة و عملاً دؤوباً ، لإيجاد حلول لها بما يخدم مجتمعنا و مستقبل هذا المجتمع.

فمنذ ستينيات القرن الماضي ظهرت الكثير من التيارات الفكرية و السياسية و الاقتصادية العربية التي حاولت رسم مشاريع مجتمعنا العربي و آفاق تطوره من كافة الجوانب الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و الثقافية، لكنّ هذه المحاولات لم تحقق النجاح المطلوب منها، أو الهدف المنشود الذي كانت تسعى لتحقيقه لأسباب متعددة قد تكون داخلية أو خارجية قاهرة، لذلك سوف نسلّط الضوء على هذه المحاولات و على كافة المعوقات التي حالت دون تحقيقها مع وضع تصور جديد لما يجب فعله لتحقيق مختلف الأهداف التي تسعى لتحقيقها من خلال وضع أسس جديدة تتناسب مع واقع المجتمع.

الأهمية و الأهداف :

تكمن أهمية البحث في كونها جاءت محاولة جادة لرصد محاولة التيارات النهضوية العربية ، التي ساهمت في رسم آفاق المجتمع العربي. كما جاء البحث متابعة حثيثة للسجالات الثقافية والأيديولوجية التي كان لها الأثر المهم في رسم خارطة التشكيلات السياسيةفي المجتمع المذكور، بمعنى آخر رصد محاولات الباحثون العرب المنهجية الهادفة إلى صياغة ثقافة عربية جديدة و ما آلت إليه محاولاتهم .

أمّا أهداف البحث : فقد جاءت أيضاً محاولة جادة للوقوف على أهمية المشاريع النهضوية العربية ، التي رفع لواءها عدد من الباحثين و المفكرين العرب ، و انعكاساتها على الثقافة العربية الإسلامية ،و على رسم ملامح مجتمع عربي جديد بثقافته و قيمه.

منهج البحث :

إنّ موضوع البحث هو الذي يحدد منهجيته ، و باعتبار أنّ موضوعنا يتعلق بثقافة و تراث أمتنا العربية و بآلية تطوير و تجديد هذا التراث بما يتلاءم مع عصر العلم و التقنية . فقد استخدمنا منهج (الوصف و المقارنة) و المنهج النقدي التاريخي، و قد نستخدم مناهج أخرى بحسب طبيعة موضوع البحث كي يكون مسعفاً في عبور العقبات التي يواجهها هذا البحث .

أولاً- مشكلة التراث والتاريخ وإمكانية الانطلاق نحو مستقبل جديد:

إنّ الانطلاق نحو مشروع فكري حضاري عربي إسلامي مرتبط بالوعي العربي لمشكلات مجتمعهالذي بدأت ملامحه تظهر منذ عصر النهضة حيث حاول وفق إمكانياته أن يرسم ملامح جديدة لمجتمع عربي جديد بفكره و ثقافتهمنطلقاً من ثقافته المرتبطةبالفلسفة العربية الإسلامية التي تجسد هذا التراث، وهذا يدفعنا للبحث عن الجذور الأولى لتراثنا العربي إلاّ"إن حضور التراث كمفهوم نهضوي ،في الساحة الأيديولوجية العربية المعاصرة، يحكمه التناقض بين مكوناته الذاتوية و مكوناته الموضوعية داخل الوعي العربي الراهن [1]" ، حيث أنّه لا مجال للحديث عن التقدم والتطور إلاّ بالعودة إلى عناصر التراث الإشكالية التي تفصح عن العناصر العقلية الكامنة في هذا التراث، لذلك فالكيفية التي يجب أن تنتمي إليها فلسفتنا هي فلسفة التاريخ، لذلك صار لزاماً طرح التساؤل التالي كيف يمكن الحديث عن مشروع للفلسفة العربية الإسلامية بمعطياتها الخاصة و أدواتها المعرفية؟. فانشغال العديد من المفكرين العرب

[1]- **الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط 1، 1991، ص31.**

المعاصرين أمثال الجابري و التيزيني و فرح أنطون وغيرهم من المفكرينبالاهتمام بهذا التراث، و انصراف هؤلاء المفكرين جميعاً إلى دراسة التراث العربي الإسلامي، تجسد ذلك مع المحاولات المعرفيةالآخرى، كدراسة فلسفة العلوم، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، هذا بالإضافة إلى التركيز على الظروف السياسية وإمكانية ممارستها من قبل بعض هؤلاء المفكرين و إذا كان البعض من المثقفين العرب قد اعتمدوا على الثقافة و الفلسفة في معالجتهم لمشاكل مجتمعهم فإن أكثرهم لم يستطع التمييز بين الفلسفة العربية و الغربية رغم إتباعهم لمنهج و أيديولوجيا غربية في التفكير.

إنّ انشغال الفلسفة بمشكلات الواقع، وخاصةً مشكلة التقدم التاريخي هو ما جعل الوعي العربي يتفوق بشكل ملحوظ في ثقافتنا، فالتقدم هو الارتقاء بطريقة التعامل مع التاريخ بطريقة معاصرة وذلك عبر مواكبة التقدم الحاصل على صعيد الفلسفة بشكل عام ،لأنّ الفلسفة هي التي ترسخ العقلانية في فكرنا وتجعلنا نتعامل مع كل شيء و خصوصاً مع تراثنا بفكر عقلاني نقدي "لأنه من خلال ممارسة العقلانية النقدية في تراثنا نكتسب عقلانية أصيلة و جديدة ،عقلانية ستكون هي التربة الصالحة ،الغنية الخصبة ، التي تستطيع حمل مبادئ و أسس العلم المعاصر" [1]،إنّ في نظرة الفيلسوف المسبقة للفلسفة بوصفها ميتافيزيقيا و انطلاقهم من دون وعي بأنّ مشكلات المجتمع والتاريخ والتطور والتقدم والتخلف هي مشكلات فلسفية قبل كل شيء ناهيك عن عدم أخذهم بعين الاعتبار التفريق ما بين الفلسفة والعلوم، كالميتودولوجيا و السياسة، لذلك نجد أنّ تصوراتهمو مشاريعهم حول موضوع التقدم والتطور لا تجسد واقعنا المعاصر.

يرى تاريخ الفلسفة المعاصر أنّ التصدي لمعالجة مشكلات التطور والتقدم التي ترتبط وبشكل رئيسمن أساس نظري عام آخر خاص لابد ربطه مع فلسفة التاريخ عموماً وفلسفتنا خصوصاً آخذين بعين الاعتبار أهمية التراث بالنسبة إلى التقدم والتطور التاريخية لأنّ الانطلاق إلى النهضة لا يكون من فراغ " بل لابد فيها من الانتظام في تراث. والشعوب لاتحقق نهضتها بالانتظام في تراث غيرها بل بالانتظام في تراثها هي" [2]، ولا نعني بأنّالانتظام هو الذوبان في الآخر ذوباناً كلياً، ولكن نميز وبصورة قاطعة أن الأنا هو الآخر حتى تكون العلاقة معه ممكنة، وبذلك أتميز عن الآخر بوصفي موجود واعي في مجتمع صغر أو كبر، منطلقين في ذلك حسب قول منير الحافظ عندما يقول: "و أنا على يقين من أن التراث يمثل الأنا الحضاري المتنامي في عمق الذات المعاصرة"[3].

إذاً لا تبدو المشكلة إذن في نهضتنا الفكرية وكيفية استقلالها،أو بالانتماءإلى الماضي القريب أو البعيد الذي يتصل بحاضرنا لاستشراق المستقبل، بل في ما يوجد قابع في نفوسنا و ماضينا لذلك كان لابد من التعامل مع الماضي بكل أشكاله بصورة موضوعية للتأسيس لعقلانية واعدة" و نحن نعتقد أنه ما لم نمارس العقلانية في تراثنا و ما لم نفضح أصول الاستبداد و مظاهره في هذا التراث فإننا لن ننجح في تأسيس حداثة خاصة بنا" [4]، والفكر العربي المعاصر لن يكون فعّالا إلاّ إذا انطلق من فلسفة عقلية نقدية عربية تهدف إلى بناء مجتمع عربي عقلاني مفتوح يؤمن بالتاريخ و فلسفة التاريخ كأساس في تطوره و تقدمه.

فمشكلة التطور والنهوض للوصول إلى فلسفة عربية ذات معالم خاصة ومحددة تصطدم بعوائق عدة لعل أهمها مشكلة الدين.

---

[1] – **الجابري، محمد عابد،اشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،ط 1، 1989، ص44.**

[2] – **الجابري ، محمد عابد، التراث و الحداثة ، مصدر سبق ذكره . ص 33.**

[3] – **الحافظ، منير، التراث في العقل الحداثي، دار الفرقد ، دمشق، ط 1، 2001، ص180.**

[4] – **الجابري، محمد عابد، التراث و الحداثة ، مصدر سبق ذكره، ص 17.**

ثانياً– الفلسفة والدين:

يمكن القول إنّ الدين يحتل مكانة قريبة من التي تحتلها الفلسفة في تراثنا العربي لأنّ "هذا التراث ، من حيث جذوره العميقة و روافده الجوهرية ، و روحه العامة يمثل إفرازاً دينياً بكل أبعاده ، هذا من جانب ، و من جانب آخر ، فإنّ هذا التراث من حيث نتاجاته العقلية و المعرفية ، و حركاته السياسية ، و إبداعاته الوجدانية و الإنسانية في شتى مناحي النشاط الإنساني هو بمثابة ضمير أمة بأسرها" [1]،إنّ مشكلة العلاقة بين الدين والفلسفة في المجتمع العربي الإسلامي ، والتناحر و التضاد الحاد بينهما تبدو مشكلة راسخة في قلب وعي التقدم التاريخي وضرورته للمجتمع العربي الإسلامي إلا "أنّ الخلاف بين الفلسفة و الدين لم يكن في الأساس خلافاً في المحتوى أو المضمون ، بل كان خلافا في المنهج. و يتلخص هذا الخلاف في أنّ منهج التفكير الفلسفي نقدي ، في حين أنّ منهج التفكير الديني ايماني"[2]،فتباين وجهات النظر في هذه القضية لا يمكن تفسيره على أنّه حالة سلبية، بل على العكس من ذلك إنّها حالة إيجابية قد تكون مفيدة في أي مشروع يُطرح من أجل نهضة عربية شاملة لتأكيد استقلالية هذا المشروع وخصوصيته، لا يخفى على أحد من الباحثين أنّ العلم هو أحد أهم طرق التطور والتقدم، وهذا ما أكدته تجارب الأمم السابقة وخاصةً ما أكدته النهضة الأوربية في القرن السابع عشر،لأنّه "إذا نظرنا إلى الفكر العربي الحديث و المعاصر من هذه الزاوية ، نجد أنه يفتقد هذا العنصر الفلسفي الذي يجعل منه فكراً يتحدث عن الممكن في إطار شروط تحقيقه" [3]،ولو عدنا إلى مشكلة بحثنا الأساسية و هي خصوصية الفلسفة العربية الإسلامية من زوايا عدة كما طرحها الباحثون والمفكرون كلٌّ من وجهة نظره ، قلنا: إنّ النظر إلى المسألة كما يجب أن ينظر إليها من زوايا متنوعة ومتعددة، سواء كانت منظمة أو متضاربة، إلا أنّ القضية يجب أن تأخذبعين الاعتبار الظروف الزمانية والمكانية أو غير ذلك من العوامل المختلفة، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل هناك خصومة بين الفلسفة والدين؟ والإجابة على هذا التساؤل ترتبط بالظروف التاريخية والثقافية بشكل عام وعلى وجه التحديد السياسية، من هنا يمكن القول إنّ التراث العربي الإسلامي يكشف عن حقيقة لا مجال للشك فيهاوهي أنّنا لا نستطيع أن نغض الطرف عن الصراع الذي دار بين الطرفين، ولبحث المسألة بصورة جلية يجب النظر إلى موضوعات كل من الفلسفة والدين " فالفلسفة (ماعدا استثناءات قليلة) تُغلّب جانب العقل، في حين أنّ الدين يغلّب جانب العاطفة و الشعور الوجداني. والفلسفة إنسانية المصدر ، بينما الدين (في حالة العقائد السماوية على الأقل) وحي إلهي"[4]. فالدين كما قلنا هو صورة للوعي الاجتماعي حيث يجب أن تصل الروح إلى بهائها؛ لأنّ الدين يقرر المثل الأعلى لقواعد الإيمان أي كما يجب أنّ يتمثّلها الناس في حياتهم، أمّا العلم فإنّه يقرر الواقع في حياة الوجود ، إذاً لقد أصبحنا أمام نمطين من المفاهيم، ما يجب أن تكون عليه الوقائع، والواقع كما يتجلى أمامنا.

فكان لابد من وعي المسألة من خلال العلاقة بين الفلسفة والدين بحيث يمنع تدخل كل طرف في شؤون الطرف الآخر، إنّها فكرة تقول: إنّ هناك حقلين معرفيين، الفلسفة والدين وأنّ تراثنا العربي الإسلامي يفصح عن الخلاف بين رجال الدين والفلسفة و هذا راجع الى اختلاف في الفعل العقلي بين رجال الدين و الفلسفة ؛ و لهذا اهتمّ الجابري وأعطى مساحة كبيرة في فكره الى تحليل هذا العقل و الكشف عن بنيته لأنّ" معرفتنا لطبيعة العامل الذي يتحكم في العقل العربي الإسلامي و يشكّل بنيته العامة، إن كان يعود إلى الحقل الديني أو إلى الحقل العربي، كواقع أو لغة أو جنس..

---

[1]– سلطان، جمال، الغارة على التراث الإسلامي، مكتبة السنة، القاهرة ،ط1،1990، ص44.

[2]– إبراهيم بدران وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د.ت ، ص43.

[3]– الجابري، محمد عابد، التراث و الحداثة ، مصدر سبق ذكره، ص 242.

[4]– إبراهيم بدران وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر ، مصدر سبق ذكره، ص44.

كل ذلك سيحدد لنا حقيقة هذا العقل ، لا بما يعبّر عما يحمله من ثقافة التراث التي سبق أن انتهى تكوينها ، بل والأهم من ذلك بما يشكّله من أداة فاعلة ؛ لها القابلية على إنتاج الفكر حاضراً و مستقبلاً، مثلما كان لها القابلية على عملية الإنتاج المعرفي لتكوين التراث ذاته" [1]، وإذا ذهبنا إلى أبعد من ذلك في مناقشتنا لهذه الخصومة من الممكن القول: إنها عداء بين رجال الفكر ورجال الدين ، والشيء الذي زاد من صعوبة الأمر الخلاف بين رجال الدين أنفسهم ما دفع باتجاه المزيد من التشرذم والضياعوتصدع المشاريع الهادفة لبناء منظومة معرفية ،فالخصومة بين الحقلين تكمن في حقيقة الأمر بين الأصالة والمعاصرة، التجديد، والتحديث؛ لأنّنا لا نستطيع أن نجدد فكرنا ما لم نرجع الى الأصل الثابت وهو التراث فنحقق معاصرتنا بالرجوع الى أصالتنا و "لأنّ هذا التجديد هو السبيل لوفاء هذا (الثابت) بدوره الذي أنيط به في حياة هذه الأمة" [2].و هذه المشكلة حقيقية لا يمكن تجاهلها تكمن في فصل الحقلين عن بعضهما فصلاً تاماً بحيث يكون الدين عاملاً قوياً لترسيخ وتثبيت القيم الروحية والأخلاقية في حين تكون الفلسفة مواكبة للواقع وتغييراته المستمرة و هذا "يعني أنّ ضرورة الفلسفة في الفكر العربي الراهن ، في تقديري، تعادل ضرورة العقلانية، ضرورة العقلنة" [3].

على الرغم من المحاولات الكثيفة للمفكرين العرب لتجاوز الصعوبات نرى أنّ المشاريع التي تبنّت فكرة النهوض بالمجتمع العربي قد باءت بالفشل، هذاسنحاول أن نناقشه في الفصل القادم بشيء من التفصيل، لكن قبل هذا دعنا نطرح التساؤل التالي : هل من الممكن فصل الحقلين العلمي والديني عن بعضهما ، وفصل الدين عن السياسة في مجتمعنا العربي الإسلامي.يبدو أنّالأكثر أهمّية للخروج من المحنة إذا ما جرى الحديث عن تجربة واحدة خاضتها بعض الدول العربية، فإنّ إمكانية فصل الدين عن السياسة تبدو صعبة للغاية، وبمعنى آخر إنّ المشكلة تبدو في تدخل رجال الدين في المشاريع السياسية وبالأخص في نتائج العلم وفي رفضها العديد من الأحيان. إنّ في أحد أسباب تخلف المجتمع العربي هو:عدم التمييز بين الخصومة والاختلاف والصراع فالاختلاف بين الوعي الديني والوعي الفلسفي أمر لابدّ من الإقرار به، فالوعي الديني يعتمد على اعتبارات إيمانية و توصيات أخلاقية ، بينما الوعي الفلسفي يعتمد على العقلانية و النقد في مجالات الحياة كافة، إلا أنّ الجانب الإيماني هو الغالب في مجتمعنا العربي الإسلامي بسبب تدخل رجال الدين في السياسة و غيرها من مجالات الفكر الحر، وهذا يعني "أن العامل الديني هو الذي يحدد موقف الكثيرين من المذاهب الفلسفية المختلفة بحيث لا يصدرون حكمهم على هذه المذاهب تبعاً لمنطقها الداخلي ، بقدر ما يخضعونه لاعتبارات ايمانية و أخلاقية " [4].في العلم ومناهجه تتحدد موضوعات هي طبيعية ومطلق طبيعيةلأنّ شروط المعرفة العلمية هي الاعتماد على مناهج تبدو بالفرضيات لتنتهي إلى حقائق ثابتة لا مجال للشك فيها إنّها تنتهي إلى قوانين وأحكام يقينية، بينما الأمر مختلف كل الاختلاف في الدين فالوعي الديني مرتبط بأحكام حول الخالق والميعاد، فهو يفترض الإيمان دون العودة إلى سلطان العقل واستدلالاته ، في نهاية هذه الفقرة لابد من القول: لا مجال للتوفيق بين الوعي الديني والوعي الفلسفي ؛ لأنّ مشكلة الدين ترتبط عادةً بنوعمن الخيال وتكون مناقضة لقوانين الطبيعة فهي مرفوضة من العقل، إذن فالفلسفة العربية الإسلامية لاتزال حتى الآن منشغلةفي محاولة الفصل بين الحقلين أو على الأقل التوفيق بينهما.

---

[1] – محمد، يحيى، نقد العقل العربي في الميزان، ليدز، بريطانيا، ط 1 ،1996 ، ص33.

[2] – عمارة، محمد ،أزمة الفكر الإسلامي المعاصر ، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة، 1990، ص21.

[3] – الجابري، محمد عابد، التراث و الحداثة ، مصدر سبق ذكره، ص 242.

[4] – إبراهيم بدران وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر ، مصدر سبق ذكره ، ص50.

ثالثاً– الفكر العربي المعاصر ووهم الاستقلال التام:

عاش المفكرون العرب وهم الاستقلال التاريخي التام للذات العربية أو قل إن شئت التبعية الكاملة للفلسفة الغربية القديمة والحديثة، فيما أطلقوا عليه العقلانية النقدية الذي تمثّل بصورة خاصة في مجملمشروع الجابري عن التراث، وطبعاً هذا ما أعطاه الجابري اهتماماً كبيراً في كتاباته و هو ضرورة استخدام العقلانية بطابعها النقدي في كل مجالات الفكر و الثقافة و التراث بشكل خاص لأنه "هناك ضرورة ملحّة للتعامل النقدي مع مجمل الموضوعات على اختلافها ، يجب التوقف عندها و العمل على تحقيقها باعتبارها فرضاً واجباً. فالتعامل النقدي يقتضي الوعي بتاريخية المعرفة و بالتالي نسبيتها ، و احتوائها ما هو أيديولوجي ولا عقلي" [1]، وقبل العرض لعملية الهدم التي قام بها الجابري لينهض في خطاب لا يتجاوز الخطابات العربية المعاصرة، وإذا تقصينا الخطاب العربي المعاصر وآفاقه المعرفية والذين حددا طبيعة هذا الخطاب هما مفهومالنهضةو مفهوم الثورة، و دليل على ذلك وحسب الجابري" كلما (تعمّق) وعي العرب بالانحطاط ارتفع مستوى طموحهم النهضوي" [2]، والسؤال هل فعلاًشكّل هذان المفهومان الانطلاقة نحو التعبير عن الواقع لبناء مستقبل عربي ذا معالم محددة.

نرى في بحثنا عن الفكر العربي المعاصر أنّ المشروع النهضوي كان محكوماً بنموذجين حضاريين هما: الحضارة الغربية ، والحضارة العربية الإسلامية وهذه بدورها أنتجت ثلاثة خطابات أولاً : الخطاب الإسلامي (السلفي) والثاني: الخطاب الليبرالي (الأوربي) والثالث :الخطاب التوفيقي.

رابعاً– الخطاب الإسلامي (السلفي):

قبل أن أمضي في تحليل الخطابات التي حملت لواء النهضة العربية نرى أنّ بعض المفكرين تناولوا بالبحث النتائج التي توصلت إليها هذه الخطابات ، لذلك سنحاول مناقشة الأحكام السلبية لهذه الخطابات وهل كانت فعلاً على صواب ، أم أنّها مجرد ادعاءات فارغة لا تستند إلى الوقائع ، وما تحمله من مشكلات حتى يغدو أنّه فكر مشروع و ليس فكر واقع.

يفصح الخطاب السلفي عن نفسه بأنّ السبب الرئيس لتخلف العرب وعدم نهضتهم هو ابتعادهم عن الأصول التي خرج منها الإسلام وأصوله ، فبرأيهميجب العودة إلى الأصول ، و تمثل نموذج الحضارة الإسلامية كما كان و هذا باعتقادهم يحقق النهضة و التطور للأمة الإسلامية، فهذه الطريقة و الصورة "أساسها اسقاط صورة (المستقبل المنشود)، المستقبل الأيديولوجي ، على الماضي، ثمّ(البرهنة)– انطلاقاً من عملية الإسقاط هذه– على أنّ ما تمّ في الماضي يمكن تحقيقه في المستقبل" [3]. وعلى الرغم من تنوع الخطاب الإسلامي عند العديد من المفكرين لا نجد بينهم ما يشير إلى وحدة خطاب تنطلق أساساً من عقلنة الواقع للانطلاق إلى مستقبل جديد، فمنهم من يرى أنه يجب الالتزام بالنص المقدس، وما أتى به الرسول (ص) والصحابة (ع)، وهذا مايتبعه السلفيون ومايسمى بالمنهج السلفي، إذ يرون أنّ ما كان وما كتب بالأمس يجب الأخذ به وتمثله بشكل كامل وتطبيق التجربة الإسلامية القديمة على الحاضر و المستقبل حيث إنّ "السلفي يحيى هذه الصورة بكل جوارحه ، ليس فقط كصورة رومانسية ، بل ك (واقع حي)، و لذلك تراه يستعيد الصراع الأيديولوجي الذي كان في الماضي و ينخرط فيه، منافحاً و مناضلاً ، لا

[1]– أبي نادر، نايلة، التراث والمنهج بين أركون والجابري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2008، ص57.

[2]– الجابري، محمد عابد، الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط 1، 1982، ص23.

[3]– الجابري ، محمد عابد ، نحن و التراث، مصدر سبق ذكره، ص 12.

يكتفي بخصوم الماضي، بل يبحث له عن خصوم في الحاضر و المستقبل" [1]، وهناك تيار آخر يقبل الأخذ بمفاهيم الحاضر وما أُنتج عن الحداثة، ولكن دون أن يتناقض هذا مع النصوص وما أتى به الأولون ، والأغرب من هذا كلّه دعوة بعض المفكرين الإسلاميين أنّ كل العلوم توجد في القرآن الكريم وأنّ التكنولوجيا النبوية توجد في الآية التالية " قال يا أيّها الملأ أيّكم يأتيني بعرشهاقبل أن يأتوني مسلمين. قال عفريتٌ من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامكوإني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك" [2]،يعني قبل أن تغمض عينيك. نلاحظ هنا أنّ الخطاب السلفي يتحرك في عصر الانحطاط ويقدم قراءة تبقى في دائرة العقل السفلي المكبوح الجماح، لا يمكن أن ينتج علماً ، لأنّه كما قلنا إنّ بعض الباحثين الإسلاميين يرون أنّ الكشوفات العلمية الحديثة موجودة بشكل لا لبث فيه في القرآن الكريم، هذا العقل الذي يتناول النصوص بهذه الطريقة هو عقل الماضي، إنه عقل بالٍ ردع وكبح مسيرة التطور ،وفي مناقشتنا لهذه الوجهة من النظر نرى أنّ التيار السلفي الذي يربط كل المكتشفات في التراث الإسلامي فإنّذلك لا يستند إلى التاريخ بل هي تجاوزٌ تام له وللواقع ايضاً ، مما يعزز الرأي القائل إنّ في تلك النظرة عامل تخلف فكري واضح لأنّ "الرجوع الى نقطة مضيئة في الماضي ليس من أجل الماضي نفسه، بل من أجل التحرر مما تراكم من انحرافات و ظلمات في المسار الذي يفصلالحاضرعن تلك النقطة المضيئة" [3]، و لأنّ الفكر العربي وما يحمله من قراءات متنوعة لا يستطيع التعاطي مع التاريخ كل مرحلة في إطارها الخاص وهذا ما يجعل من قراءتهم للتراث لا تستند إلى قراءة علمية دقيقة وهذا سينعكس على المستقبل. في محاولة التيار السلفي تطبيق قوانين الماضي على الحاضر والمستقبل و ذلك بسبب نظرتهم اللاتاريخية إلى التاريخ عموماً وإلى التاريخ العربي الإسلامي خصوصاً كان على أصحاب النزعة السلفية التعامل مع التاريخ بوصفه نتاج أحداث متلاحقة لكل حقبة أهمّيتها وخصوصيتها بالنسبة إلى الواقع الذي أنتجها وبذلك تبدو الفلسفة العربية الإسلامية واضحة المعالم والخصائص المحددة منتجة من مقولاتها الزمانية والمكانية.

خامساً- الاتجاه الليبرالي:

يرى دعاة هذا التيارأنّ مسيرة النهضة نحو مستقبل واعد ترتبط بمركبات ذهنية تنتمي إلى الماضي والحاضر الأوربي ، يعني أنّ العودة إلى التراث قد شكّلت عاملاً سلبياً أساسياً في فشل النهضة العربية كما يرى أصحاب هذا التيار ، بسبب أنّ الليبرالي العربي ينظر "إلى التراث العربي الإسلامي من الحاضر الذي يحياه، حاضر الغرب الأوروبي، فيقرأه قراءة أوروباوية النزعة، أي ينظر إليه من منظومة مرجعية أوروبية ، و لذلك فهو لا يرى فيه إلاّ ما يراه الأوروبي"[4]. يفصح دعاة هذا الخطاب أنّ النهضة هي أوربية بكل صراحة والمشكلة عند أصحاب هذا الاتجاه أنّ الليبراليين يُنظر إليهم على أنهم سلفيين، أو السلفيون هم الليبراليون لأنّهم يسلكوا نفس الطريق ويصلوا إلى نفس النتائج، لذلك نظر الجابري إليهم كذلك عندما تحدث عن القراءة السلفية و الليبرالية و المادية ، إذ يجمعهم طريقة واحدة في التفكير وهي الاتكال على سلف سابق و هذا ما جعلهم يفتقدون إلى الموضوعية و الاستقلالية، فحسب الجابري إن" الفكر الذي لا يستطيع الاستقلال بنفسه ، فيلجأ الى تعويض هذا النقص بجعل موضوعاته تنوب عنه في الحكم على

---

[1]- الجابري ، محمد عابد ، نحن و التراث، مصدر سبق ذكره، 13.

[2]- القرآن الكريم سورة النمل الآية (38-39-40).

[3]- الجابري، محمد عابد، في نقد الحاجة إلى الإصلاح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2000، ص54.

[4]- الجابري ، محمد عابد ، نحن و التراث ،مصدر سبق ذكره، ص 14.

بعضها" [1]،فتحالف رجال الدين مع الأطراف الرجعية كان للحفاظ على الامتيازات التي تخصّ الطرفين، فرجال الدين الذين أصبحوا في مرحلة لاحقة هم نفسهم المثقفونالذين رفعوا شعارات الحداثة و (المجتمع المعرفي) ، إذ يبدو أنّ الطرفان وجدوا أنّ النهضة تكون في القفز على التاريخ بدل من صنعه، وبذلك يسير القديم جنباً إلى جنب مع الجديد وفي قلبه، وبالتالي يغدو التاريخ عند أصحاب هذه النزعة مرحلة قد لا يكون لها معنى، وهنا يضيع أصحاب هذه النزعة حقيقة التغيير والتطور القابعة في قلب الطبيعة التي تحكم الكون و التي يعد الإنسان الجزء المهم فيها، إذن تبدو المسألة بين الثابت والمتحول، التراث يمثل الثابت بينما يمثل حركة الحياة كل تطور وتحول. لقد تشظّت المشكلة أمام الوعي بين السلفي الليبرالي، والليبرالي السلفي والنموذج التاريخي لهذه المشكلة هو المفكر زكي نجيب محمود والذي نشأ نشأة متطرفة ثمّ انتقل بعد ذلك ليتبنى تيار الوضعية المنطقية، فهو يعد نموذجاً للسلفي الليبرالي الذي دعا إلى تبني ثقافة الغرب والتخلي تماماً عن التراث وهو الحل الوحيد للخروج من المحنة فهو في مشروعه يبدأ كيف نكون عربا و حداثيين في الوقت ذاته ، و هذا باعترافه هو حينما قال: "حين دعوت الى الأخذ بثقافة الغرب و الغرب هو (العصر) لأنّه هو صانع حضارة عصرنا_ كنت في تلك الدعوة على كثير من التطرف ، لأنّني نظرت إلى الأمر من جانب واحد ، و هو جانب (العصرية) التي لابدّ فيها في انسان اليوم، لكنني أهملت الجانب الآخر الذي لابدّ منه كذلك حفاظاً من أي انسان معاصر على هويته الخاصة التي صنعها تاريخه" [2]، وزكي نجيب محمود ينصرف للتوفيق بين السلفي والليبرالي بالأخذ من جانب الليبرالية وما فيها معاصرة إلى السلفية وما فيها من أصالة، و بمعنى آخر" محاكاة الأواخر للأوائل ، على نحو يجعلها محاكاة في (الاتجاه)لا في خطوات السير ، محاكاة في الموقف لا مادة المشكلات و أساليب حلّها" [3]، وبذلك يكون الليبرالي السلفي والسلفي الليبرالي يفكران بالنهضة بطريقة مقلوبة. والقصة كان من الممكن التعامل معها بشكل لا يلغي أحد الطرفين إذ علينا الأخذ من الغرب ما يتوافق مع توجهاتنا ونهضتنا و بما لا يتعارض مع تراثنا، ونتخلىّ من التراث كل ما يعيق ويعرقل نهضتنا و بعبارة أخرى " المطلوب هنا العثور على المعادلة الصحيحة بين الاحتماء بالتراث و الانفتاح على النظام العالمي وهي مسألة تتضمن تحديات نظرية و تطبيقية تحتاج إلى انفتاح فكري و جهود جماعية من المثقفين العرب على اتجاهاتهم كافة" [4] ، إذن فالقضية هنا تبدو أنّها تركيبات من عناصر مختلفة تبقي ما يفصح عن أصالة ثقافتنا ، وتستفيد من الحضارة الغربية ما يميزها عن ثقافتنا.

سادساً– الموقف الإنتقائي :

يفصح هذا الاتجاه عن نفسه كونه يذهب بين السلفية و الليبرالية ، ومن الممكن القول إنّ هذا الموقف يأخذ ما هو الأفضل من السلفية و الليبرالية ، و بمعنى آخر طُرحت هذه المسألة "على أنّها مشكل الاختيار بين النموذج الغربي في السياسة و الاقتصاد و الثقافة ...الخ و بين التراث بوصفه يقدم ، نموذجاً بديلاً و (أصيلاً) يغطي جميع ميادين الحياة المعاصرة" [5]، أي إنّ أصحاب هذا الاتجاه ينتقون ما هو الأحسن ، أي ينتقي السلفي من الحداثة ما هو الأفضل للدين و التراث،ويتناسب معهما، و الخطاب العربي المعاصر يلاحظ أنّه يتوقف عند الأصالة و المعاصرة ،بل من الممكن القول إنّ هذا الخطاب بقي محكوماً بين الأصالة و المعاصرة ، فالموقف يحدد في الاتجاهات التالية ، فما كان

---

[1]– المرجع السابق ، ص16.

[2]– محمود ، زكي نجيب ، قصة عقل ، دار الشروق ، القاهرة ،ط 1،1983، ص62.

[3]– محمود، زكي نجيب، قيم من التراث ، دار الشروق، القاهرة، 2000، ص7.

[4]– فهد النفيسي ، عبد الله، التراث وتحديات العصر ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت،ط 1 ،1986،ص18.

[5]– الجابري ، محمد عابد، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص 15.

في الوسط فهو توفيقي ، لأنّ السلفية هي التمسك بأصالة الماضي ، و المعاصر يتطلع إلى حداثة العقل ، وخاصة الأوروبي ، و بما أنّ الاتجاهات ،السلفي ،والليبرالي ، و التوفيقي ، هي خطاب من التراث إلى الحاضر يظل منطق خطابهم واحد . إنّ المشكلة بين الأصالة و المعاصرة لا تتعدى الشكل .ودليل ذلك أنّ كل باحث في الفكر العربي ،له رأيه في انتقاء ما يراه مناسباً لمشروعه تبعاً لموقعه الأيديولوجي . ولآرائه المسبقة ، ومن الملاحظ أن بعض المفكرين مثل محمد عبدو ، رائد السلفية الحديثة كان انتقائياً ،وكذلك الأمر بالنسبة لزكي نجيب محمود ، فهو أيضاً انتقائي ليبرالي ، هذه الاتجاهات قد دفعت إلى إشكالية الإزدواجية في الفكر ، و إلى التناقض أحياناً ، وفي حقيقة الأمر يلتقي السلفي و الليبرالي في مربع واحد فكليهما يتجاوز التاريخ و لا يصنعانه ، فالدولة مثلاً مفهوم اقتبسناه من الغرب ، مع العلم لم نعير تطبيقها أي اهتمام ، يعني أنّها بقيت في الإطار النظري و الإنسان فيها ، كائن بيولوجي لا أكثر؛ لأنها بالأساس غريبة عن ثقافتنا لا يمكن أن تنسجم معها ، إنّ هذا الاتجاه يحاول أن يخفي الكذب الكبير على النفس ، فالقضية بين السلفي الليبرالي، و الليبرالي السلفي ، إنّها خطاب غير الواعي لأهدافه ، و الأهمّ من هذا كلّه أنّ هذه أثارت إشكالية أكثر تعقيداً منها وهي محاولة جمع القطبين في تركيبة واحدة ويظهر الاختلاف في نوع ما يريد أخذه من هذا الاتجاه أو ذاك ، إذاً فالسلفي الليبرالي ،والليبرالي السلفي كل منهما كان يتطلع إلى النهضة . من الملاحظ إذاً أنّ هذين الخطابين خطابان محكومان بسلف ، من هنا لا يمكن أن يقدم كلا الخطابين حلاً مناسباً للنهضة لأنّنا"لا نستطيع أن نجدد فكرنا و لا نشيد حلماً للنهضة مطابقاً، ما دمنا محكومين بسلطة النموذج _ السلف سواء كان التراث أو الفكر المعاصر أو شيئاً منهما"[1]، و لا يخفى على أحد أن هذه المحاولة محكومة بالفشل ، لأنّ الخطاب السلفي لا ينظر إلى الواقع ولا يعبر عنه، إنّ هذا الاتجاه (الانتقائي) ليس إلا تجاوز للتاريخ لا يأخذ بعين الاعتبار خصوصية الذات المُنشئة لذاتها ، و القضية الأساسية تبدأ بمعرفة الذات أولاً و الاستقلال عن النموذج السلف ، حتى نستطيع التعامل مع كل النماذج تعاملاً نقدياً.

- **خاتمة**

لقد انتهى بحثنا الى مجموعة من الاستنتاجات و التوصيات أهمها : الوقوف عند أهمية التراث العربي الإسلامي و تشكله تاريخياً، كونه يمثل بالنسبة للعديد من المفكرين العرب حجر الأساس في الاتكال عليه و الانطلاق نحو نهضة جديدة تخلصنا من معظم مشاكلنا و تخلفنا الراهن.

وقد ركّزنا على مفهوم العقلانية و خصوصاً العقلانية النقدية في معالجة التراث الإسلامي بصورة موضوعية، وبالتالي على أهمية الفلسفة في واقعنا الراهن ، و أوضّحنا دور العامل الرئيس في إعاقةحركة التطور المعرفي في المجتمع الإسلامي ، و ضرورة معالجتها بطريقة صحيحة، وصولاً الى إشكالية الأصالة و المعاصرة التي تحدّثنا عنها بوضوح كإشكالية مهمة في الفكر العربي الحديث و المعاصر، و انقسام الباحثين العرب بين مؤيد للحداثة الغربية و داعياً إلى الأخذ بها ؛ و هو الليبرالي العربي الذي دافع عن العقلانية الأوروبية و تمثّل بها، و بين مؤيد للتراث الإسلاميمعتقداً أنّ هذا التراث هو الحل الوحيد و النموذج الأفضل الذي يجب الأخذ به و هذا هو المفكر السلفي، و منهم من وقف بين هذا و ذاك ، وهو الليبرالي السلفي الذي أخذ من التيارين ما هو أفضل له.

وبهذا الشكل نكون قد رصدنا عدداً من التيارات المؤثرة في الفكر العربي و محاولاتها في معالجة مشكلة النهضة العربية بحسب وجهة النظر الخاصة لكل تيار، لكننا نؤكد في نهاية الأمر أنّ جميع هذه الخطابات لا تستند الى الواقع ولا ترتكز على التاريخ، بل إنّها تتجاوز الواقع بكثير و تقفز فوق التاريخ، و لذلك لم تستطع أن تقدم مشروعاً

[1] – **الجابري ، محمد عابد، الخطاب العربي المعاصر ، مصدر سبق ذكره، ص 61.**

ثقافياً أو معرفياً يساهم في رسم آفاق مشروع نهضوي عربي ؛ كونها كانت محكومة بسلطة النموذج ، سواء سلطة التراث ، أو سلطة الفكر الأوروبي المعاصر ، و بمعنى آخر مقيدة بسلف تتكل عليه في بناء نظريتها و بالتالي هذا ما أدّى الى فشلها و فشل مشروعها.

المصادر والمراجع

1 -القرآن الكريم.

2 – إبراهيم بدران وآخرون، *الفلسفة في الوطن العربي المعاصر*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د.ت.

3 -أبي نادر، نايلة، *التراث والمنهج بين أركون والجابري* ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2008.

4 -الجابري ، محمد عابد ، *نحن والتراث* ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 6 ، 1993.

5 – الجابري، محمد عابد ،*اشكاليات الفكر العربي المعاصر*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،ط 1، 1989.

6 – الجابري، محمد عابد، *التراث والحداثة*، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط1، 1991.

7 – الجابري، محمد عابد، *الخطاب العربي المعاصر*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط1، 1982.

8 – الجابري، محمد عابد، *في نقد الحاجة إلى الإصلاح*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2000.

9 – الحافظ، منير، *التراث في العقل الحداثي*، دار الفرقد ، دمشق، ط1، 2001.

10 -سلطان، جمال، *الغارة على التراث الإسلامي*، مكتبة السنة، القاهرة،ط1 ، 1990.

11 -عمارة، محمد ،*أزمة الفكر الإسلامي المعاصر* ، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة، 1990.

12 -فهد النفيسي ، عبد الله، *التراث وتحديات العصر* ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت،ط1 ،1986.

13 -محمد، يحيى، *نقد العقل العربي في الميزان*، ليدز، بريطانيا، ط1 ،1996 .

14 -محمود ، زكي نجيب ، *قصة عقل* ، دار الشروق ، القاهرة ،ط1983،1.

15 -محمود، زكي نجيب، *قيم من التراث* ، دار الشروق، القاهرة، 2000.